الاستشراق[1] الفرنسي والتكلّمات اللهجية الجزائرية –قراءة تحليلية–

جمال الدين بابا: (CNRPH/ TLEMCEN)

Baba_cnrph_cea@yahoo.fr

ملخّص :

سنحاول في هذا المقال تسليط الضوء على موضوع الاستشراق الفرنسي ودوره في دراسة اللهجات المغاربية عموما واللهجات الجزائرية على وجه التحديد– خلال الحقبة الاستعمارية مبيّنين أهمّ الدوافع والأسباب في ذلك مع إبراز أهمّ الأعمال الاستشراقية في هذا المجال اللساني (علم اللهجات) .

Abstract :

In this article, we are trying to shed light on the subject of french orientalism and itsrole, generally, in the study of Maghrebindialects and specifically of Algerian ones, during the colonial period, and showing the most important reasons and purposes for that, exhibiting the most important orientalistsworks in the linguisticfield (dialectology).

مقدّمة :

بدأت دراسة اللّهجات في العصر الحديث على أيدي المستشرقين خاصّة، وذلك ضمن النشاط الكبير الذي قام به هؤلاء للبحث في أحوال أمُم الشرق وتراثها وحضارتها، فقد أخذ عدد من المستشرقين منذ القرن التاسع عشر يسجّلون ويدرسون نماذج للهجات العربية الحديثة في مناطق مختلفة من العالم العربي، وقد حظيت أقطار الشمال الأفريقي، وسوريا وفلسطين، والعراق، بالجهد الأكبر من هذه الدّراسات، وذلك لسهولة وصول الباحثين إليها وتكاثرهم فيها، وجاءت هذه الدراسات اللهجية في أنماط مختلفة فكان منها كتُب المعاجم، ومنها الدراسات الوصفية، ومنها كتب تعليم اللغة للأجانب، وكتب النصوص، ولعلّ أوّل أطلس لغوي ظهر عن لهجات العالم العربي هو ذلك الذي ألّفهُ المستشرق الألماني برجستراسر(Bergsträsser)بعنوان "أطلس لهجات سوريا وفلسطين"،وقدسار المستشرقون الفرنسيون وفق منهجية صبغت الحركة الاستشراقية العالمية بصفة عامّة، انصبّت حول التراث العربي دراسة وجمعا، وانحصرت اهتماماتهم في المجالات التالية:

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

- تتبّع مواقع المخطوطات وجمعها في مراكز بحث جامعية، أو في مكتبات خاصّة.
- ترجمة النصوص الأدبية والتاريخية والجغرافية والعلمية وأمّهات الكتب، ونشرها والتعريف بها.
- وضع المعاجم، والاهتمام باللّسانيات.

إضافة إلى ذلك، فقد ساهموا إسهاما ملحوظا في إعداد التقارير وتحريرها، وعملية المسح الاجتماعي لعادات المنطقة ولغتها ولهجاتها، ووضعوا في ذلك دراسات عديدة.

السياسية الاستشراقية الفرنسية :

عمدت السلطات الفرنسية منذ احتلالها للجزائر على انتهاج خط سير محكم بضوابط لا تزيغ عن فرنسة الجزائريين أولا وتنصيرهم ثانيا ثم إلحاقهم بفرنسا عن طريق الإدماج وبالتالي تجريدهم من مقوماتهم الشخصية القومية الجزائرية بهدم كل ركائزها الدينية واللغوية، فقد اتّخذت من التعليم وسيلة لتنفيذ تجاربها واستثمارا لسياستها الاستعمارية ذات الطابع الاستيطاني فراهنت على المدرسة.

كما أن محاولة الفرنسة لم تقتصر على التعليم في الكتب المدرسية والمناهج ولغة التدريس والتوجيه العام فحسب, بل شملت كل مناحي الحياة الاجتماعية وكان الهدف منها قطع جميع الروابط والصلات الجامعة بين الجزائر وماضيها وتاريخها و انتمائها الحضاري.

ممّا لا شك فيه أن تعنّت السلطات الاستعمارية كان متعمّدا فيه بغية المساس بالهوية الجزائرية ومقوماتها من دين ولغة وتاريخ باعتبارها عنوان الأصالة والقومية ورمز البقاء والاستمرارية في الحاضر والمستقبل، لذالك ارتأت بأنّ أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتها وجعلهم أكثر ولاء وأخلص في خدمتهم لمشاريعها هو أن تقوم بتنشئة أبناء الأهالي منذ الطفولة وأن تتيح لهم الفرصة لمعاشرتها باستمرار، وبذالك يتأثّرون بعاداتها الفكرية وتقاليدها، فالمقصود إذن باختصار هو أن تفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم حسبما تريد، فالبرامج التي تقرر أن ترى النور في المدارس الخاصة بالأهالي تحت الرعاية الفرنسية الحاقدة، أولت الأهمية للغتها الفرنسية فسنّتها في جميع برامجها لتثبيت سياسة الفرنسة ومحو اللغة العربية ومحقها بإحياء اللهجات الجزائرية والعامية على حدّ سواء.

وبكثير من التناقض أوكل تدريس اللغة العربية لمدرس فرنسي يعلم أبناء الأهالي لغة منشئهم ولغة دينهم وأجدادهم ليس رغبة فيها، وإنما لتحطيمها باللهجات والعامية لتصبح لغة أجنبية في ديارها،وشرّ ما عوملت به لغة الضاد في بلادنا، محاولة المحتلّ إلحاقها باللغات البائدة/ مثل اليونانية القديمة، واللاتينية، وتعويضها باللهجات الجهوية المحلّية، اعتمادا على قواعد نحوية وصرفية، ابتكرها ابتكارا، تلقّن بالفرنسية، وبنفس المصطلحات الخاصة باللاتينية " ماذا يهمهم من لغة لم يعترف بها كلغة رسمية بجانب الفرنسية ولم يخصص لها إلاّ نحو ثلاث ساعات في الأسبوع تزاحمها اللغة العامية التي اشتقت منها ثم اعتبرت لغة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مستقلة عنها، ولتنفيذ هذه الخطة قد عهد بالتأليف في اللغتين إلى طائفة من الأساتذة، فألّفوا في اللغة العامية كتباً مختلفة ملئت بالحكايات الكاذبة، تقرأ للتسلية لمحاربة اللغة الفصحى كما ألّفوا في هذه الأخيرة كتبا أخرى على طريقتهم المعروفة من مزج الشرح والبيان باللغة الفرنسية، فابتكروا لكلّ منها أساليب خاصة وأحدثوا لهما نحواً خاصاً غريباً لا يعتمد في التطبيق إلا على جمل ركّبت تركيباً ليس من العربية في شيء .... إن كل ما فيها يصرفهم عنها جرياً على تحقيق مقاصد السياسة الاستعمارية التي كانت من أهدافها أن يتجرد الفرد من كل قوة سلاح مادياً وأدبياً "[2] .

يبدو أن السياسة الاستعمارية تحاول استمالة الأهالي نحو حضارتها بواسطة اللغة كخطوة أولى؛ فسيكون أولا صراعها مع اللغة العربية كلغة تقف كحائل ضد مشاريعها الاستيطانية؛ لذا فكّرت في طرق عدة أهمها مشروع إنشاء المدارس العربية الفرنسية لاستمالة الأطفال بالمنح والألبسة وغيرها، ولِبَثّ نوع من الطمأنينة أيضاً في نفوس الأهالي ريثما تتمكن من التوسّع في كامل البلاد، وتقلّ من حدّة المقاومة التي تزداد تصعيداً يوماً بعد يوم، وفي الآن نفسه فرضت ضرباً من الرقابة على المؤسّسات التعليمية " إن المدارس والدين تحت حمايتنا ستشهدان تطوراً كبيراً، وكلّه لفائدة هيمنتنا"[3] أو بجعلها لغة أجنبية تزاحمها العامية واللهجات المحلية كالبربرية، تجسيداً لسياسات "فرّق تسد"، وحتى لو درست ففي المدارس الإسلامية الثلاث بإشراف المستشرقين لا الجزائريين، ولأن قواعد اللعبة الاستعمارية تحتّم السيطرة اللغوية والثقافية على المستعمرة وما تسفر عنه بعد ذلك من هيمنة فكرية تجعل المغلوب في وضع المنبهر بإنجازات الغالب مزكيا فضائله وحضارته ما يضمن استمرار تواجده الدائم في العقليات المغلوبة التي ترى فيه الكمال فيقوده انبهاره بإذعان التبعية للآخر عند ضعاف الشخصيات الذين ركّبت فيهم ثقافة الآخر مركّبات النقص في غياب القيم والمثل العليا التي من شأن التاريخ القومي أن يزرعها في نفوسهم، وهذه الحلقة كانت ضائعة أو غائبة كلية في برامج المدارس الفرنسية، لهذا فأهمية اللغة في تكوين الشخصية الوطنية أهمية بالغة سعى التعليم العربي الإسلامي على الحفاظ عليها، ولا ننكر دور المحيط الاجتماعي اللاهج بالعربية في الحفاظ على هذا التوازن بين لغة الثقافة الفرنسية ولغة الدين الإسلامي الذي تمكّن عند النخبة الثقافية في رصد سمات الوطنية.

البدايات الأولى للحركة الاستشراقية في الجزائر :

بدأ اهتمام المستشرقين الفرنسيين بالجزائر منذ احتلالها، فاعتبرت من أولى دول المغرب إقليميا وإفريقيا التي خضعت لسيطرة المحتلّ الفرنسي إذ رافقه في المهمة الاستعمارية فريق من المستشرقين منسقين مع الباحثين في الإدارة الاستعمارية، لذلك ارتبط الاستشراق الفرنسي في الجزائر منذ البدايات الأولى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للاحتلال بمسار التوسع الاستعماري ويعدّ أحد مظاهر الغزو الثقافي الفرنسي فعقب الحملة مباشرة والتي ضمت عددا كبيرا من الفنانين والمترجمين، فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل على الاستعمار في شعاب الشرق وأوديته من أجل فرض السيطرة على الشرق وإخضاع شعوبها وإذلالها[4]. فأوّل اتصال يكون قد تم بين المحتل وأهالي الجزائر كان عبارة عن مناشير باللغة العربية اللهجية, يؤكدّ عليها جلّ المؤرخين على أنها اللهجة المشرقية الوافدة مع المترجمين, الذين رافقوا نابليون في حملته على مصر الذين انضمّوا إلى المعاهد الاستشراقية بعد ذلك في باريس أمثال جوني و إلياس فرعون. أما الإعلان الموجّه للعرب ... – و هو أول نصّ هامّ للدّراسات الاستشراقية في الجزائر – فقد ترجمه قبل توجه الجيوش الغازية "جان شارل زكار[5] -Jean Charles Zeccar" بمساهمة المستشرق سلفاستر دي ساسي (Silvestre de Sacy)[6],وبيانشيBianchi.، والأرجح أنها عامية مشرقية وليس بعامية جزائرية ما يؤكد جهل القوات الغازية للجزائر ولهجاتها، وكذلك جهاز المترجمين ذوي الأصول المشرقية من أمثال جواني فرعونJohannyFharaonالذي يعتبر أوّل من ألف كتاب في النحو خاص بعامية الجزائر، حيث تضافرت الجهود في هذا المجال مدعّمة بتزكية من الحكومة الوصية التي ساهمتفي تخريج الدفعات الأولى للمترجمين العسكريين، ولم يكن الهدف من تعليم العربية في الجزائر الإطّلاع على جمالها ، بل ركزت الجهود التعليمية وبالذات من مدرسة اللغات الشرقية بباريس، على لغات المنطوق دون المكتوب أي العامية على حساب الفصحى ليس لشيء، إلا للتواصل مع الشعب المغلوب ، بغية استكشاف عقليته ومن ثمة بسط الهيمنة اللغوية والثقافية وإحكام السيطرة عليه، فيكون أداة طيّعة منفذة لكل الأوامر دون تردد لأنها ترى في الغالب القوة والقدرة.

ومن هنا يمكن القول بأن أولى الجهود الاستشراقية قد تمّت على يد العسكريين من المترجمين، أمثال مرسلين بوسيي (M.Beaussier) وقد ذكرهم هنري Henri Massi في المجلة الإفريقية سنة 1933م " لقد انتمى لسلك المترجمين العسكريين ضباط متعلمون وإن اقتصرنا على أولئك الذين برزوا بفضل منشوراتهم المتعلقة بالعربية فلا بدّ لنا أن نذكر ارنو Arnaud فيرو Feraud مرسيي MercierبروسلارBrosselar روسو Rousseau، ومن بين هؤلاء يحتلّ بوسيي (Beaussier) مكانة الشرف "[7]، ولا شكّ بأن الإدارة الاستعمارية " كانت تنظر بوجه عام إلى دراسة اللغة كوسيلة للتغلغل السياسي وليس كعنصر من الثقافة الفكرية، وبهذا الصنيع ظلّت محصورة في الدور الذي أوكل لها، فهذا التصور سرعان ما أثر على مؤلفي الكتب التعليمية، والذين ركزوا عموما على تكرار الكتب المدرسية ذات الصبغة العملية، وكتب النحو دون الانشغال باللهجات المحلية بدراستها دراسة منهجية، لأنه كان ينظر إلى اللغة العربية كأداة بسيطة تمكن من الإتّصال بالأهالي ليس إلاّ[8] "

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ما أوضحته الدراسات اللغوية والتاريخية والتراثية والدينية والاجتماعية... لبحوث جمّة، ومكثّفة ونظريات تتظاهر بالعلمية والموضوعية الخاصة بالجزائر – في تلك الحقبة الزمنية– و نظراً لجهل الاحتلال بالمنطقة، فقد استعانت إدارته بفريق من الخبراء الميدانيين في الترجمة والتاريخ وعلم الإجتماع، والآثار والأنثروبولوجيا والإثنولوجيا .... لمعرفة تكون أكثر دقّة وشمولية لأجل دراسة عقلية الشعب المستعمَر، وفي هذا يقول جان لويس بريني (J.L Bresnier)[9] في محاضرته الافتتاحية لدرس العربية الدارجة في سبتمبر 1936م : " إن مهمّتنا تكمن في إرشادكم إلى كيفية التغلب على الصعوبات و تمكينكم من بلوغ النتائج التي ترمون إليها، ذلك باجتهادنا في دراسة لغة العرب سنقوى على تقديمه بوصفه متوحشا تماما ... يجب إقامة العلاقات الكثيرة و المتواصلة للكشف عن قلب الأهالي، وبفضل هذه الصلات نتوصّل إلى معرفة دقيقة لذهنية العربي الذي بدوره سيعوّد نفسه على معرفتنا وتقدير قيمة تجارتنا وصناعتنا ... إنه السبيل الوحيد الذي يمكّننا من التأثير على العرب، ذلكم التأثير الذي زوّدتنا به حضارتنا اللامعة سنتمكن من إقناعهم إن كنّا نتمتّع بالقوّة المادّية، فإننا كذلك نتمتع بمزايا الخبرة والدقّة اللتين يبطلان جميع محاولاتهم ضدنا "[10]. وهذا ما تطلّب تضافر الجهود بين المستشرقين وإدارة الاحتلال، والسير جنباً إلى جنب لإنجاح المخطط الاستعماري، " فالاستشراق الفرنسي يتفق مع فعل الاحتلال ولكنّه يختلف معه حول الوسائل التي يتمناها المستشرقون أن تكون أنجع، ولذلك فهم يميلون الى الاحتلال العلمي والمنهجي"[11] .

فمن دواعي الحاجة مع بداية الإحتلال كان حريّا بإدارته الاستعانة بفريق من المترجمين العسكريين –على وجه الخصوص – لأنهم الواسطة الفعّالة التي تمكّن من التعامل مع السكان والاحتكاك المباشر لا سيما بعد تقسيم الجزائر إلى مقاطعات وعمالات وتأسيس المكاتب العربية في المدن والقرى في فترة الحكم العسكري، والتي كان يرأسها غالباً المستعربون العسكريون، ومعهم المترجمون الذين سمحت لهم علاقتهم المهنية بالتوسع أكثر لمعرفة حياة الأهالي عن قرب، لتتعدّى في غالب الأحيان التقارير الإدارية المهتمّة بعادات السكّان، ولهجاتهم وتراثهم وأنسابهم ودراسة فلكلورهم، وكأنه ضرباً من الجوسسة، ثم شرعوا في حركة جمع وترجمة وتأليف اعتُبرت أولى مسيرة الاستشراق الفرنسي في الجزائر، وفي الوقت نفسه أنشأت أوّل جريدة ناطقة باللغتينLe MoniteurAlgérien في شهر جانفي 1832[12], وقد لعب المترجمون العسكريون الدّور البارز في نشاط الترجمة الفورية التي شهدت ازدهاراً، وعرفت بجهازها القويّ والفعّال في إنتاج غزير لأكداس من النصوص والعرائض والوثائق المترجمة كما تم نشر أعمالهم في الجمعيات المتخصصة في شكلها البسيط ، والعامّ لأجل التعريف بالشعب المحتل في مختلف عصوره، ومظاهره ليس إلاّ .

الاهتمام باللهجات العامية :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كان لمدرسة الاستشراق الفرنسي دورها في دراسة اللهجات العربية عامّة، والجزائرية على وجه الخصوص، فقد بدأت هذه المدرسة منذ احتلال الجزائر تهتم بالبحث في جلّ الميادين المساعدة في تجسيد مقصودها، وكان في مقدمة هذا الهدف الميدان الثقافي، فبعثت الكثير من علمائها بغية دراسة الواقع اللساني للمجتمع الجزائري، فدرسوا اللهجات العربية والأمازيغية كما درسوا عادات وتقاليد ومعتقدات وأعراف الشعب الجزائري.

و الجدير بالذكر أن جهود العسكريين قدمت فكرة عامة عن الاستشراق في الجزائر والذي أخذت ملامحه تظهر شيئاً فشيئاً بعد تنظيم التعليم العربيفي الجزائر كخطوة أولى، ثمّ اتّجهوا إلى البحث عن ثغرات تمكّن الاحتلال من التغلغل إلى الأراضي الجزائرية والتمكّن من عقلية سكانها والبحث عن الثّغرات للاستفادة منها، واستمرّ وضع الاستشراق في المرحلة الاولى على التأليف المعجمي للعامية الجزائرية بهدف التواصل باللغة المنطوقة دون المكتوبة (الفصحى)، ففي المجال اللغوي جاء التركيز على التأليف المدرسي الموجّه للأوروبيين الذين كانوا يتعلّمون اللغة العربية أو الدّارجة، كما صدرت عدة قواميس في هذا المجال في الفترة نفسها، ثم توالى هذا النوع من التأليف لحاجات الإدارة الإستعمارية، حيث نشر سنة 1843 قاموس عربي- فرنسي وفرنسي-عربي لصاحبه رولان دي بوسي (R.D.Beaussier) تحت عنوان " L'Idiomed'Alger " ومعجم باللغة البربرية للمترجم دي لابورت (De laporte) نشرته المجلّة الأسيوية سنة 1836م والذي سمّاه " Vocabulaire de Berbère " كما أصدر كتابه الموسوم " Principe de l’arabe en usage à Alger " و قاموس دانينوس الذي وزع على ضباط الجيش الغازي ، والمعجم الفرنسي – العربي للهجات الدارجة الإفريقية بالجزائر وتونس والمغرب ومصر للمستشرق الكبير جان مرسيل (J.Marcel) " Le Vocabulaire Français-Arabe des dialectes africainsd’Alger" وقاموس مارسلينبوسيي(M. Beaussier) سنة 1887، والذي جمع فيه مختلف الألفاظ المستعملة في العامية، وليس العامية الجزائرية فقط بل وحتى التونسية والمغربية[13]... وقد شملت إنجازات المستشرقين الفرنسيين مختلف الميادين، كما عمل المترجمون العسكريون في هذه الفترة على الدراسات الاجتماعية والإثنية والمدن والمناطق ونشروا أبحاثهم في المجلات العلمية المتخصّصة، وما كان يميّزها أنها جهود لا تستند على مستشرقين محترفين بأتمّ معنى كلمة الاستشراق، ومن جهة ثانية فقد صبّت جلّ اهتمامها في دائرة استكشاف المجتمع الجزائري ولهجاته، وعقائده، وعاداته، وتاريخه... وما تميّز به الميدان اللغوي الاستشراقي في فترة الاحتلال لم يزغ عن التأليف المدرسي الموجّه للأوروبيين الذين كانوا يتعلّمون اللغة العربية أو العامّية، فصدرت عدّة قواميس في هذا المجال لاستكشاف المجتمع الجزائري ومصادره ولهجاته وعقائده وتاريخه وتسهيل مهمة التواصل معه بالاعتماد على المترجمين العسكريين الذين تولّوا المهام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العسكرية والإدارية أكثر منها أكاديميات لقلّة المحترفين في مجال الاستشراق وانعدام المؤسسات العلمية المتخصصة في الجزائر.

وكما عرفت الجزائر في ظل الاحتلال نشاطاً وسعاً في الترجمة والتأليف المدرسي، فقد شهدت مدينة الجزائر أيضاً أربع دروس للعربية، أطلق عليها فيما بعد باسم كراسي اللغة العربية، في مرحلة الإستشراق الأولى أي عقب الاحتلال مباشرةً، فأضحى الاستشراق الفرنسي يؤسّس لنفسه قاعدة متينة في المجال اللغوي لا سيما مع جهود بريني (Bresnier) في التدريس والتأليف والترجمة والتكوين .... ويعتبر لويس جاك بريني مؤسس الاستشراق الفرنسي في الجزائر والذي تخرج على يده العشرات من المترجمين والباحثين، ولد في مونتارجيس سنة 1814، إشتغل في الطباعة أولاً، وأحبّ اللغات الشرقية خلال مزاولة دروسه الكلاسيكية ليلاً، فقصد باريس وتخلّف على دروس سلفاستر دي ساسيوغيره، ولهذا عندما افتتحت أستاذية العربية في الجزائر عيّنه أستاذه على رأسها، و إليه يرجع الفضل في تأسيس كرسي العربية[14] " ولم يكن غرض الفرنسيين تعليم الفصحى ولا المحافظة على العربية المكتوبة أو تثقيف أهلها وإنما كان التعرّف على الجزائريين بوسيلة الاتّصال الوحيدة وهي العربية الدارجة ثم العمل على نشر الفرنسية بينهم بالمؤثّرات الأخرى غير التعليم "[15]بالرغم من اسهاماته (أي بريني Bresnier) في التأليف بالعربية وقواعدها ونحوها لمدة زمنية طويلة، حيث كتب يقول في مقال نشرته المجلة الآسيوية سنة 1838 عارضاً طريقته " العربية الجزائرية كغيرها من اللهجات العربية لا تستعمل إلا في العلاقات العائلية وخاصة في الخطاب، ولا تكتب لأنه لا يوجد مراجع لها لدى الأهالي"[16]، قدّم فيه مبادئ اللغة العربية المنطوقة في الجزائر وإيّالتها مع ذكر الصفات المميزة للهجة الجزائرية، كما قدّم تفاصيل عن الثقافة الفكرية للأهالي لذا اعتمد في تدريسه على كتاب لأستاذه كوزان دي بروفنسال<Grammaire de l’arabevulgaire >، و "نحو دي ساسي"، بعد تأسفه على قلة المراجع الخاصة بتدريس العامية وفي معرض حديثه أثناء المحاضرة الافتتاحية، ذكر المصاعب التي يلاقيها في التدريس، لكنه كان أكثر تفاؤلاً حين ختم كلمته بذكر مزايا الدّراسة الجادّة للغة العربية مع " إقامة علاقات أكثر حميمية مع الأهالي الذين سيعتادون على اعتبارنا لا كغزاة، ..بل كحماة لمصالحهم ولأقاليمهم مع دراسة أدبهم الذي يمكّننا من بلوغ مصدر أفكارهم وأحكامهم المسبقة وعاداتهم"[17] ولهذا أُدرج تدريس العامية في المدارس الفرنسية آنذاك وفي المدرسة العليا لتكوين المعلّمين مع الاشتغال بالتدريس والمساهمة في نشر النّصوص والمعاجم لتسهيل المهمّة الاستعمارية في التواصل مع الأهالي، يقول (بريني Bresnier) في مقدمة كتابه : " إن الدراسات العربية في الجزائر يجب أن لا تقتصر على الأبحاث المتعلقة بفقه اللغة والتاريخ والأدب كما هو حاصل في أوروبا، بل يجب أن تعمل على توفي أدوات لأجل الفهم والتواصل مع جميع أشكال التفكير، بشكل عفوي سواء كان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك بالمشافهة أو بالكتابة، لذا يجب إقران الجانب التطبيقي بالجانب النظري في تبادل مثري وفعّال"[18]، ومن أهم أعماله : مصنّفه الموسوم " ChrestomatieArabe "(نصوص عربية مختارة) نشر عام 1845، وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل والعقود، وكتاب " AnathologieArabeélémentaire "واللذان يعدّان من أسس تعليم العربية في الجزائر بالإضافة إلى كتابه " LeçonsThéoriques et Pratiques Du Cours Public de la Langue Arabe "والذي طبع عام 1855م .

فالمستشرقون في الجزائر كانوا مرتبطين بالإدارة الفرنسية ارتباطا سياسيا وكانوا مدعومين من قبل لجنة " إفريقيا الفرنسية " التي كان مقرّها بباريس ومن قبل زعماء الكولون، ومن الجامعات الفرنسية، ومن اللّوبي الاستعماري عموما"[19].

وبعد المراجعة الشاملة التي شهدتها فرنسا في مجال التعليم بعد 1870م، جاءت هده الفترة لتثمن الجهود الاستشراقية التي بلغت أوجها ما بين سنتي 1879 إلى غاية 1930، والتي توّجت بإنشاء كرسي للغة العامية الجزائرية في باريس عام 1864" أنشأت الوزارة أستاذية للعربية الدارجة في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وقد عيّن على رأسها السيد دي سلان(De Slane)الذي كان ترجمانا للجيش فيما سبق ... ومن ثمّ تبين الاهتمام المتزايد الذي توليه السلطات لأستاذيات اللغة العربية"[20].ثم كرسي للبربرية في باريس عام 1913م، ومع ظهور مدرسة الآداب التي تحوّلت إلى كلية الآداب عام 1909م وانعقاد المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين في الجزائر سنة 1905م تحت إشراف رينيه باصيه (R. Basset)[21] الذي يعتبر عميد المستشرقين الفرنسيين في الجزائر وقتئذ، هي من أهم الفترات الذهبية للاستشراق الفرنسي في الجزائر .. إذن ف" صناعة المعاجم واللسانيات والتاريخ الديني والتحقيقات والترجمات للنصوص والاثنوغرافيا والفلكلور والكتب المدرسية هي أكثر المجالات التي عني بها مستعربوا الجزائر"[22]. أمّا مرحلة ما بين (1930 ألى 1962) فمّيزها التوسع في إنشاء المعاهد المختصّة كمعهد الدراسات الشرقية ومعهد الدراسات الصحراوية ثم معهد الدراسات العربية ... وقد عرف الاستشراق هزّات عنيفة خلال الحرب العالمية الثانية وخلال حرب التحرير والحرب الباردة.

ومع ثمانيات القرن التاسع عشر شهد الاستشراق انطلاقة حقيقية وفعّالة بحيث كان أكثر تنظيما وتخطيطا، فقد شهدت هذه الفترة ظهور جيل من المستشرقين المحترفين الذين تكوّنوا في مدرسة الآداب بالجزائر أو تخرّجوا من مدرسة اللغات الشرقية بباريس, يساعدهم في ذلك المترجمون ومجموعة من الجزائريين الذين تلقّوا تكوينا في المدارس الشرعية الفرنسية أمثال بلقاسم بن سديرة, ومحمد بن شنب وحليم بن سماية، والسعيد بوليفة الذي تحدّث في مقال له في المجلة الآسيوية سنة 1905م عن مهامه في البحث عن المخطوطات البربرية في المغرب والذي كلّفه بها أستاذه باصيه (Basset) Manuscrits

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"berbères du Maroc"مشيدا بالصعوبات التي واجهته في المغرب ومؤكّدا عل تلقّيه المساعدة من بعض اليهود في إنجاح مهامه والتي مكّنته من العثور على مخطوطات بربرية باللغة العربية, وكدا العثور على مخطوطات لبردة البويصري بالبربرية (تمزيغت) [23]. ونشطت إلى جانب ذلك الجمعيات العلمية المتخصّصة، ويعدّ الاهتمام بدراسة لهجات المغرب خصوصا وإفريقيا عموما من أبرز النشاطات اللغوية التي لقيت رواجا واسع النظير, وعلى غرارها نذكر أعمال المستشرق وليام مارسي (William Marçais) الذي اهتم باللغة الأدبية وبلهجات أفريقيا الشمالية, والتي كان لها الفضل في تولّيه إدارة المدرسة العليا للعربية بتونس ثم مدرسة اللغات الشرقية حيث استخلف هوداس (Houdas), ومعهد فرنسا, ومن بين أعماله "نصوص من تكرونة , دراسة في إحدى اللهجات الريفية التونسية (Etude sur un dialecte rural de Tunsie ' Takrouna' وقدّم نماذج للتحرّيات اللسانية حول لهجتي تلمسان وسعيدة (Dialectes de Tlemcen , des Ouled Brahim de Saida)...الخ[24] .

لتبقى الجهود اللغوية للاستشراق الفرنسي تصبّ في حقل اللسانيات ، والمعاجم ، والخطوط (الكتابة) والتاريخ الديني وتحقيق وترجمة النصوص الأدبية والتاريخية والفقهية والعلمية ثمّ الدراسات الإثنوغرافية والفلكلورية، وأخيراً الكتب المدرسية، "فالاستشراق الفرنسي في عموم توجّهه، يتميّز بطرحه التاريخي الفيلولوجي، وبملمح نبرته الصليبية وروحه التنصيرية، وأهدافه الاستعمارية، ووصايته وهيمنته الثقافية .. فالاستشراق الفرنسي كان غزواً خاصّاً لخدمة مصالح فرنسا وأكثر أثراً وتأثيراً في هوية مستعمراته الشرقية، بل وكان غزوا للغة والقيم والعادات والتقاليد، وكانت أساليب عمله مباشرة في أنشطتها الدينية والثقافية"[25] ، وبالمقابل لقي المستشرقون مكانة مرموقة لدى حكوماتهم نظير الخدمات الجليلة التي قدموها لبلادهم دعما للمخطّط الاستعماري التوسّعي، وفي هذا الصدد يدلي نجيب العقيقي برأيه قائلاً :" ولما رأت معظم دول الغرب عقد الصلات السياسية بدول الشرق والاغتراف من تراثه والانتفاع بتراثه والتزاحم على استعماره؛ أحسنت كل دولة إلى مستشرقيها فضمَّهم ملوكُها إلى حاشيتهم أمناء أسرار، وتراجمة، وانتدبوهم للعمل في سلكي الجيش والدبلوماسية إلى بلدان الشرق، وولُّوهم كراسي اللغات الشرقية في كبرى الجامعات والمدارس الخاصة والمكتبات العامة والمطابع الوطنية، وأجزل لهم العطاء في الحلِّ والتّرحال، ومنحوهم ألقاب الشرف وعضوية المجامع العلمية [26] " .

أساليبهم في توثيق اللهجات المحلية :

وبعد الحديث عن جهود الإستشراق الفرنسي في المجال اللغوي بالتحديد والجهود الجبّارة التي أُنجزت لمثل هذه الدراسات الخاصّة بإحياء اللهجات المحلية توثيقاً ودراسة، وذلك خدمة للأهداف الاستعمارية في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تلك الفترة، إذ في كل مرحلة من مراحل التطور الاستعماري نجد الدّعم التامّ للاستشراق المتماشي حسب المشروع الاستيطاني سائرين دوماً جنبا إلى جنب نحو التكامل فيما بينهما. بدءا بالقرارات السياسية للقادة والحكّام وتثبيتاً ميدانياً في حقول الإنجاز المهيكل في شكل جمعيات علمية ومجلات، وصولاً إلى مدرسة الآداب بالجزائر، وما أمكنها من تقديم الأفضل للمستعمر داعمة مخطّطة إلى إنشاء معهد الدراسات الإستشراقية بجامعة الجزائر عام 1934م، إذن سنحاول أن نبرز أهمّ الأساليب والجهود في توثيق هذه اللهجات المحلّة :

1/اللجان العلمية :

قامت الجمعيات العلمية والثقافية بالعديد من الأبحاث في مختلف المجالات في شكل جماعي ما ساهم في ظهور مؤلفات ومنشورات قيّمة تعد موسوعة معرفية ومرجعية تاريخية لتاريخ الجزائر الثقافي في العهد الاستعماري، نذكر منها بحوث جامعة الجزائر بمختلف كلياتها ومعاهدها، وكذلك لجنة التحقيق في أوضاع الجزائر مثل لجنة 1933-1934 ولجنة 1891-1892 بالإضافة إلى أعمال اللجان العلمية ، والجمعيات التاريخية ، والتي خصّصها رنييه باصي (R. Basset) في مقال للمجلة الآسيوية سنة 1920 حيث كتب تقريراً حول نشاط فرنسا العلمي في الجزائر وشمال إفريقيا [27] .

2 / الجمعيات العلمية المتخصصة:

واكب ظهورها احتلال الجزائر, فسعت جاهدة لمدّ يد العون للإدارة الاستعمارية, بتقارير تخصّ الشعب المستعمر فنشطت في البحوث العرقية والأنثروبولوجية, وكانت في بداياتها تحت تأثير العسكريين الذين اشتغلوا ميدانيا فسجّلوا ملاحظاتهم، كما أن هذه الجمعيات المتخصّصة اهتمّت بشكل ملفت للنظر بالتاريخ لاسيما الآثار الرومانية و المسيحية على حساب الحضارة العربية الإسلامية للمنطقة ليس إلا تثبيتا للأسطورة الخيالية "الجزائر فرنسية" محاولة لبتر أواصر صلتها بالعالم الإسلامي والعربي وضمّها إلى ممتلكاتها واعتبارها امتدادا إفريقيا لفرنسا.

و قبل الحديث عن الجمعيات العلمية التي ظهرت في الجزائر لابدّ من ذكر بعض الجمعيات التي ظهرت في فرنسا واهتمّت بشكل كبير بالاحتلال الفرنسي للجزائر, فمنها الجمعية الآسيوية التي تأسست في باريس سنة 1922 والتي كان يرأسها سيلفاستر دي ساسي (S.DE CACY) الذي يعتبرونه أب الإستشراق في أوروبا وقد نشط في المجلة الصادرة عن الجمعية مستشرقون فرنسيون كانوا قد استقروا في الجزائر وساهموا في كتابه تقارير وأبحاث متنوّعة ومن بين هذه الجمعيات نذكر الجمعية الشرقية التي تأسست سنة 1841 بباريس و كانت تصدر "مجلة الشرق" و التي أصبحت تسمى بعد ذلك ب "مجلة الشرق والجزائر" و التي جاء في فقرتها القانونية حسب ما يذكره الأستاذ أبو القاسم سعد الله "يجب أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نبذل جهدنا للهيمنة عليها (بلدان الشرق) لصالح الحضارة – و كذلك الجزائر – هذه الأرض الإفريقية الواسعة التي كانت من قبل متوحّشة, و متمرّدة، وهاهي اليوم تفتخر بقوانينا وفنوننا وعاداتنا وصناعاتنا، وهي تخطوا الخطي نحو التقدم[28] ".

و من بين الجمعيات نذكر الجمعية التاريخية في الجزائر(1856)، وبحوث جامعة الجزائر بمختلف مدارسها و كلياتها و معاهدها، وأعمال لجنة التحقيق في أوضاع الجزائر, و لجنة الاحتفال المئوي بالاحتلال (1925) والجمعية الآسيوية (1822) والجمعية الجغرافية والجمعية التاريخية.

الجمعية التاريخية الجزائرية 1856 :

تأسّست في العاصمة في عهد الماريشالراندون الرئيس الشرفي لها بحكم التقليد االسّائر في المستعمرة، أمّا رئيسها الفعلي هو أدريان بير بروجر وكان الهدف منها تقصّى تاريخ الجزائر من العهد الليبي إلى العهد التركي ومن أعضائها المستشرق لويس برينيي (L. Bresnier) أستاذ حلقة اللغة العربية والمترجم العسكري والمشرف على جريدة "المبشر" البارون ديسلان(De Slane), ثم انضم اليها بعد ذلك عدد من المترجمين والمدنيين وثمّنت جهودها بإنشاء "المجلة الإفريقية" التي اهتمت بنشر المخطوطات البربرية والعربية والاهتمام باللهجات بدراستها ودراسة الأهالي والفلكلور والأدب الشعبي ومواضيع التصوف واللسانيات، وهي بمثابة مكتبة تاريخية مهمّة لمن يعوّل على دراسة تاريخ الجزائر والاستشراق في الجزائر، وقد نشط فيها كل من شارل فيرو ولويس رين وباصيه ودي قرامونوماسكري بيزان وفيليب مارسي وجورج مارسي وجوزيف ديبارمي وجان كانتنو الذي اهتمّ بالدراسات الصوتية للهجات المغاربية ...الخ، و من بين الجزائريين محمد بن شنب وابنه سعد الدين بن شنب وسليمان رحماني, و محمد صوالح... الذين طبعوا المجلة بأسمائهم، وقد كانت تصدر مرتين في الشهر ثم أصبحت مجلة فصلية، ولم تتوقف عن تقديم البحوث إلا في فترة الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918، أما توقفها النهائي فكان سنة 1962 تاريخ استقلال الجزائر، يقول بربروجر: «لقد أسهمت هذه الدوريات في إعطاء لمحات عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أن النتائج المتوصل إليها لم تكن منظمة تنظيماً مُحكماً يؤسس لقواعد بحث علمي حقيقي وهو الأمر الذي دفعنا في الجمعية التاريخية الجزائرية إلى إنشاء "المجلة الإفريقية«"[29].

و قد توالت الجمعيات العلمية في أهم المدن الجزائرية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر"الجمعية الأثرية" في قسنطينة والتي تأسست عام 1852، وهي من أقدم الجمعيات وكان صاحبها شاربونو (Charbonneau)الذي كان أستاذ حلقة اللغة العربية بقسنطينة. وفي الغرب الجزائري أسست "الجمعية الجغرافية والأثرية لإقليم وهران سنة 1878، وصبّت اهتمامها بالغرب والجنوب الجزائري،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وساهم الكثير من المستشرقين في نشر كتابات هامّة حول تاريخ المنطقة وجغرافيتها في مجلتها "نشرة" من أمثال رينية باصي وألفريد بيل كما اهتمّت أيضا بالمغرب الأقصى.

3/ معهد الدراسات الشرقية :

تولى تأسيسه المستشرق الفرنسي جورج مرسيه (G.Marçais) مع جماعة من أعضاء كلية الآداب، وحوّل المعهد أنظار اهتمامه إلى الدراسات الإسلامية في العالم الإسلامي والعربي، والذي يعدّ المغرب العربي جزءًا منه، فتولّى دراسته عرقياً ولغوياً وتاريخياً وإثنياً، وأنشأ المعهد حوليات تضمّنت التصوّف واللهجة العامية والمكتوبة في الأندلس .. وغيرها من الأعمال المتعلقة بتاريخ المغرب العربي، وصرّح السيد جورج هاردي مدير أكاديمية الجزائر في مقدمة العدد الأول لحوليات المعهد ما يلي : " وهدفنا الرئيسي من تأسيس المعهد هو تكوين بحوث جماعية ولجان علمية لنشر إنجازاتها، وعليه فالمعهد ليس حكراً على الأساتذة الجامعيين لمعهد الآداب بل يمكن لكل المستشرقين الانضمام إليه سواء من جامعات فرنسا أو من المستشرقين الأوروبيين ... فالاهتمام بلغة وديانة الجزائر ليس وليد الساعة بل هو اهتمام الجميع، فالجزائر عتبة إفريقيا السوداء وبوابة الصحراء"[30] .

4/ مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر 1905 :

يعتبر المؤتمر الوحيد الذي انعقد خارج أوروبا في دولة عربية من القارة الإفريقية وكان الهدف منه دعم الطرح الداعي بأن الجزائر جزء من فرنسا، لكون الجزائر مستعمرة استثنائية، وترأّس المؤتمر أحد كبار المستشرقين الفرنسيين ، الذي أصبح بعد ذلك عميداً لكلية الآداب بجامعة الجزائر رينيه باصيه (R.Basset)، وحضره كثير من الشخصيات العسكرية والسياسية الحاكمة في البلاد، وضمّ ما يقرب خمسة مائة مشاركة لمستشرقين من مختلف البلدان، ويمثّل المؤتمر خطوة تطبيقية نحو الأمام في سياسة التكامل، والتحالف بين الاستعمار والاستشراق " فقد انتهى المؤتمر بإصدار وقائع ودراسات هامّة تخص الجزائر وإجازة عبد القادر الفاسي لبعض الجزائريين، وقد شارك عبد الحليم بن سماية والمختار الحاج سعيد وغيرهما من الجزائريين في أعمال المؤتمر [31]، وهذا ما يؤكّد استعانة المستشرقين بالجزائريين في أعمالهم العلمية وبحوثهم ، ناهيك عن الدّراسات المتعلقة باللغة البربرية ولهجاتها، والتي قدّمت في شكل بحوث في المؤتمر، نذكر منها دراسة ماسكريMasqucray حول التوارق، ومولييراMouliéras في الدراسات البربرية باللغة الأمازيغية (القبائلية) مع ترجمة باللغة الفرنسية " Les Fourberies De Djeha " و- " Contes et légendesmerveilleuses de la grandeKabylie " و موتيلنكسيMotylinksi في دراسته للهجة جبل نفوسة والتي تعدّ دراسة سوسيولوجية ودراسة (ميرسييه Mercier) للهجة الشاوية في منطقة الأوراس بالشرق الجزائري في مذكرة « La

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

chaouia de l'Aurès ولهجات بني سنوس للمستشرق (ديستانDestaing)،أمّا اللهجات البربرية المغربية فقد تناولها بالدراسة سعيد بوليفة " Boulifa Dialectesberbères de l'AtlasMarrocain" أمّا بالقاسم بن سديرة فإضافة إلى كتابه في النحو " Coursd'Araberégulier " و قاموس مزدوج اللغة " Dictionnairearabe – Français" ، و كتابه في الأدب العربي " Cours de littérateur arabe" و " coursgraduélettres" و " Manuscritesarabes" وقد تقدّم بكتاب حول اللغة البربرية (الأمازيغية " Le Cours De Kabyle " (، وتكون بذلك السلطات الاستعمارية استفادت من جهود الجزائريين اللغوية واللسانية في توسيع الهوة بين العرب والبربر من خلال اهتمامها الموضوعي والجادّ باللغة البربرية ولهجاتها وفلكلورها ... ليس إلا تبياناً للفروق اللسانية والإثنية، وتوطيد الصراع بين الطرفين لخلق مشكلة كبرى لدى الجزائريين والتشكيك في أصولهم وهويتهم والتفريق بينهم بتأليف أسطورة خيالية في منطقة القبائل الكبرى والتي لعب فيها الآباء البيض الدور الكبير في نشر المسيحية استناداً إلى الأسطورة التي تقول بأنّ سكان المنطقة من أصول رومانية مسيحية " الجزائر رومانية مسيحية " تدعيماً لسياسة " فرّق تسد " التي انتهجتها فرنسا في مستعمراتها التي كانت ترى فيها تنوعات لغوية ودينية، إحكاماً للهيمنة ليس إلاّ، فالاهتمام بالبربرية ولهجاتها، ليس سوى دعم للطرح اللغوي والتاريخي في شمال إفريقيا[32] ، ويحظى رينيه باصي (R. Basset) بمكانة رفيعة لما أنجزه من دراسة جادّة حول اللغة البربرية ولهجاتها في بلاد المغرب ، إذ يعدّ الرائد لما قدّمه من جهود ظل يعمل عليها قرابة عشرين سنة تمحورت خصوصا حول البربرية في منطقة الريف والجنوب الوهراني وبني ميزاب والشاوية وورقلة، وقد صيغت حصيلة الدراسات الصوتية والتركيبية تحت عنوان " Conte Berbère " و L'étudesur " – les dialectesberbère "

" Loqmanberbére" و " La grammaireberbére " و إلى جانب اهتمامه بالأدب العربي والشعر الجاهلي وبردات البوصيري وترجمته لكتاب " ألف ليلة وليلة " والفلكلور... ، ضف إلى ذلك اهتمامه بالدراسات البربرية . توّج المؤتمر بالعديد من الأعمال حول العامية الجزائرية، وهو ما يؤكّده المستشرق (إدموند دوتيE. Doutté) بقوله : " إنّنا على وشك الانتهاء من وضع القوانين الخاصة بالعامية ومناهجها مستفيدين ممّا تقدمة اللسانيات الحديثة"[33] ، هذه الأخيرة التي كانت من بين أهم ما استفاد منه وليام وفيليب مارسيWilliam et PhilippeMarçais في دراساتهما اللغوية للهجات تلمسان وجيجل وسعيدة، فقد أفنى المستشرق مارسيه حياته في عمل معجم للّغة العربية في شمال غرب إفريقية، ونشره بعنوان (نصوص عربية تكرونية) في ثمانية مجلدات صدرت ما بين سنة 1925م و1961م، وألّف مارسولين بوسيه معجما بعنوان ((معجم علمي فرنسي عربي)) طبع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالجزائر سنة1871م في 746 صفحة، وصفه وليم مارسيه في ملاحظاته بقوله ((يمكن اعتباره أهم عمل للمدرسةالاستعرابية الجزائرية القديمة))[34]، وكتاب " الطريقة المستقيمة لتعليم لغة العامة " لديبارميJoseph Desparmet في التأليف المدرسي، وإضافة على الأعمال اللغوية ، فقد كان للدراسات الإسلامية واللغات السامية والفن الإسلامي والآثار الإفريقية نصيب من مشاركة كل من وليام مارسي وجورج مارسي...الخ.

تنتهي القراءة الاستشراقية المعاصرة لتاريخ الجزائر، وبنياته الاجتماعية ومُكوّناته الثقافية إلى النتيجة نفسها وإن اختلفت طرق البحث ومناهجه، وإن تباينت المسالك التي ينفذُ منها بحثه وفكره، تلك النتيجة تحدّدها عبارة : إنّ الجزائريين عرب وبربر، ومن هنا فهمُ لسان العرب، ولسان البربر يُسهّل احتوائهم والسّيطرة عليهم.

فلقد كان من صميم الأعمال الاستشراقية، القضاء على اللغة العربية الفصحى، وذلك بمحاولة تفكيكها إلى عدّة لهجات مختلفة، إمّا بتشجيع اللهجات القديمة كالبربرية في شمال شرقي الجزائر، وإمّا البحث في لهجة الطوارق بالجنوب، زيادة على نشر الأمّية بين الأهالي...كما لجأ الاستعمار أيضا "لترسيخ المدرسة التي هي في الحقيقة سلاح ضدّ كل ما تبقّى من النظام التربوي والديني القديم، ويستخدمها كثيرا كتبرير إغلاق الزوايا"[35].

الخاتمة :

وفي آخر هذا البحث نخلص إلى جملة من النتائج والتوصيات من بينها :

- فالحديث عن الاستشراق الفرنسي ودراساته الأكاديمية، يجعلنا نقف على ضخامة هذه الأعمال وقيمة هذه الدراسات. ورغم إن معظم أعمال المستشرقين كانت تقوم على جمع المادة ودراستها بطريقة تقليدية، وكانت في معظمها تتميز بالخلط وكثرة الأخطاء، نقول رَغم كلّ ذلك، فإننا ينبغي أن نعترف لهم بفضل الريادَة، ونقدّر لهم دأبهم وجهدهم فيما قاموا به في هذا الجانب من الدراسات اللغوية.
- لا ينبغي الحطّ من قيمة الجهود الفكرية والعلمية للمستشرقين الفرنسيين بتأثير الأفكار الدّاعية إلى أنّ المستشرقين جميعا كانوا في خدمة الإدارة الاستعمارية، بل يجب علينا تثمين هذه الجهود وإعادة طبع التراث الذي نشروه ثمّ ترجمته إلى اللغة العربية لنعلم ما كُتب عنّا وعن ماضينا.
- كما ينبغي تكوين خليّة من الباحثين والدارسين يتابعون أعمال المستشرقين والدّراسات التي أنجزوها في مختلف صنوف المعرفة وخاصّة في الجزائر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأخيرا فتح باب الحوار مع المجتمع الاستشراقي الفرنسي، ومراجعة بعض الحقائق المغلوطة بمنهج علمي واضح، وباستراتيجية نقدية وموضوعية.

الهوامش :

[1]الاستشراق مُصطلح وَاسعُ يشمل ميادين عِدَّة، تَعْمل في حقل الدِّارسات الشَّرقية المختلفة و يُرادُ به اليّوم دراسة الغربيين لتُراث الشَّرق ومُكَوناته اللُغوية والأدبية والفلسفية والعَقَائدية، وعُدَّ المستشرق هو كُلُ كاتب أو عالم غربي غير مسلم يكتب عن الشرق وعن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية، وقد اِتَّفَق البَّاحثون على أنَّ الفكر الاستشراقي أضحى علماً مستقلاً لَه ذَاتِيتهُ وكيانُهُ، يُصدِر أحكامًا ويُنَصبُ تقاريراً على العالم الإسلامي كما اتَّفقُوا على أنّ الاستشراق لَعِب دوراً كبيراً في تَعريف الغرب حضارة الشَّرق عامة، وتُراث المسلمين وآداب العرب خاصّة، وأثرها العظيم في الغرب نفسه، ينظر : ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002،، ص20.

[2]– باعزيز بن عمر، اللغة العربية بالمدارس الثانوية البصائر العدد 10 سنة 1947 من السلسلة الجديدة دار الغرب الإسلامي بيروت–لبنان– ص78.

[3]–إيفون تورين، المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس و الممارسات الطبية 1830–1888 تر محمد عبد الكريم أوزغلة دار القصبة الجزائر 2004 ص221 .

[4] – محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، 1997، ص 54.

[5]- كان زكارZeccar, المولود بدمشق سنة 178 أسقف كنيسة سانت نيكولا Saint-Nicolas بمرسيليا، عيّن ترجمانا للجيش وظلّ مرتبطاً بالحكّام العامّين من دوبرمون إلى بيجو Bugeaud، وقدم دروساً في اللغة العربية لمدة ثلاث سنوات عندما وضعت أسقفية الجزائر تحت تصرفه في سنة1845، ينظر :

Henri Massé , Les Etudes arabes en Algérie (1830-1930) , in La Revue Africaine , n°74 , 1933, p209.

[6]– يعتبرونه منشئ علم الإستشراق في أوروبا، ولد عام 1757، وتعلم العربية والعبرية والكلدانية والسريانية ، ثم عيّن مدرساً في مدرسة اللغات الشرقية الحيّة بباريس ، وأصبح منذ عام 1824 مديراً لها، وعمل في وزارة الخارجية في عهد نابليون 1806–1811 كمترجم لنشرات الجيش(بدون أجر)، كما أنه ترأس الجمعية الأسيوية منذ تأسيسها 1822. أبدى إهتماماً كبيراً بتدريس العامية الجزائرية ، توفى عام 1838 ، مخلّفاً عدة مؤلفات حول اللغة العربية وآدابها ولهجاتها،وله عدة أعمال حول النحو العربي وأدبه، وبالرغم من أنه لم يزر الجزائر إلّا أن المناشير التي وزعت عشية الإحتلال كانت من إنشائه وتحت إشرافه ينظر :

Louis John Bresnier , Première Proclamation Française aux Algériens , in La Revue Africaine n°06, 1862, p 143.

[7]– Henri Massé ,opcit,p 224

[8]– Henri Massé,op ,cit,p226

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[9]مستشرق فرنسي تلميذ دي ساسي تولى تدريس العربية في الجزائر خلافا لجواني فرعون أنشأ كرسي للعربية في الجزائر له عدة أعماال حول اللغة العربية الفصيحة و العامية، ينظر : يحى مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، 2004، ص 254 .

[10]August cour , Notes sur la langue arabe d'Alger , de Constantine et Oran (1832-1879) in La Revue Africaine n°65,1924,p29 .

[11]– محمود سعدون الساموك، الوجيز في علم الاستشراق، دار المناهج للنشر والتوزيع, 2003 ص15 .

[12]- هي جريدة أصدرتها الإدارة الفرنسية في الجزائر، كانت تصدر باللغة العربية والفرنسية وهي موجّهة للأهالي، وأوكلت مهمة الإشراف عليها إلى مكتب الشؤون الأهلية في الحكومة العامة، وبتاريخ 27 يناير 1832 صدر أول عدد لجريدة حكومية استعمارية في الجزائر، ينظر : إبراهيم لونيسي، القضايا الوطنية في جريدة المبشر (1847-1870)، رسالة لنيل شهادة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص 1، 12.

[13]– وقد ظهرت محاولات عديدة ومجهودات جبّارة لتأليف قواميس خاصة باللغة العامية، ونجد أن هناك بعض العسكريين الذين تعلّموا اللغة العربية وشغلوا مناصب مرتبطة بالأهالي، قد أدلوا بدلائهم في هذا المجال، ينظر :

Henri Massé , Les Etudes arabes en Algérie (1830-1930), p 209,210, 211, 214.

[14]– عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993، ص 97.

[15]– أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998 ص17.

[16]- John-Louis Bresnier , Esquisse de la langue arabe parlée à Alger , in Le Journal Asiatique , Tome V , 3ème :série , 1838 , p589

[17]- Auguste Cour ,Lbid , p31

[18]- John – louis Bresnier , Leçons Théoriques et pratiques du cours public de la langue arabe , 2è Edition , Typographie et Iythographie Adolphe Joudan , Alger , 1855, p 14 .

[19]– أبو القاسم سعد الله , تاريخ الجزائر الثقافي ,ج5 ص14.

[20]-AugusteCour , lbid,p61

[21]– تخرّج من مدرسة اللغات الشرقية، وكان في طليعة محرّري المجلة الإفريقية، ونشرة المراسلات الإفريقية، وأسهم في مجلات علمية عديدة ورأس مؤتمر المستشرقين في الجزائر، وقد اهتمّ بدراسة اللهجات البربرية، ينظر: يحى مراد، معجم أسماء المستشرقين، 204-205.

[22]- Henri Massé ,op.cit,p25

[23]- SaïdBoulifa ,Manuscritsberbères du Maroc , in : Journal Asiatique , Tome VI,X,1905,p334 .

[24]- M. Canard, William Marçais, Revue Africaine, vol 101, année 1957, faculté de lettres, Alger, p 427-428.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[25] –الطيب بن ابراهيم ، الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر 2009، ص 90 .

[26]- نجيب العقيقي المستشرقون، ج3، ط4، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1980، ص 604 .

[27]- René Basset , Rapport sur l'activité scientifique de la France en Algérie dans l'Afrique du Nord depuis 1830 , in : Le journal Asiatique, Tome XV, Paris , 1920 , pp 91-96

[28]– أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي, ج5, ص91.

[29]-A. Berbrugger, «Introduction du premier numéro», in Revue Africaine, n° 1, vol. 1, p. 5.

[30]-George Hardyn , Préface , Annales de l'istitut Oriental d'Alger , n°1, Jourdan , Alger , 1934 p3 .

[31]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر، ج5، ص 99

[32]-Edmond Doutté , Louvre de l'école des lettres d'Alger , in , '' Revue Africaine '' , Vol :49,1905 ,P463

[33]- Edmond Doutté , op.cit.p443

[34]– محمد بسكر، اهتمامات الاستشراق الفرنسي وتوجهاته في المغرب العربي، قراءة أنموذجية في التراث الجزائري، مجلة أصوات الشمال، ينظر : http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=48677

[35]– جلول عبد القادر، تاريخ الجزائر الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 1983، ص 80.

قائمة المصادر والمراجع :

- إبراهيم لونيسي، القضايا الوطنية في جريدة المبشر (1847-1870)، رسالة لنيل شهادة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993-1994
- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1998.
- إيفون تورين، المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة المدارس والممارسات الطبية 1830-1888، تر محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة، الجزائر، 2004 .
- باعزيز بن عمر، اللغة العربية في المدارس الثانوية، البصائر، العدد 10، سنة 1947، من السلسلة الجديدة، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان–.
- جلول عبد القادر، تاريخ الجزائر الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط3، 1983.
- ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان.
- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الطيب بن ابراهيم ، الإستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر، 2009 .
- محمد بسكر، اهتمامات الاستشراق الفرنسي وتوجهاته في المغرب العربي، قراءة أنموذجية في التراث الجزائري، مجلة أصوات الشمال http://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=48677
- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري دار المعارف، القاهرة، 1997.
- محمود سعدون الساموك الوجيز في علم الاستشراق، دار المناهج للنشر والتوزيع, 2003
- نجيب العقيقي المستشرقون ج3، ط4، دار المعارف القاهرة مصر 1980.
- يحى مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، 2004.
- A. Berbrugger, «Introduction du premier numéro», in Revue Africaine, n° 1, vol. 1.
- August cour , Notes sur la langue arabe d'Alger , de Constantine et Oran (1832-1879) in La Revue Africaine n°65,1924.
- Edmond Doutté , Louvre de l'école des lettres d'Alger , in , '' Revue Africaine '' , Vol :49,1905 .
- John-Louis Bresnier , Esquisse de la langue arabe parlée à Alger , in Le Journal Asiatique , Tome V , 3ème :série , 1838.
- John – louis Bresnier , Leçons Théoriques et pratiques du cours public de la langue arabe , 2è Edition , Typographie et Iythographie Adolphe Joudan , Alger , 1855.
- Louis John Bresnier , Première Proclamation Française aux Algériens , in La Revue Africaine n°06, 1862, p 143.
- M. Canard, William Marçais, Revue Africaine, vol 101, année 1957, faculté de lettres, Alger.
- Henri Massé , Les Etudes arabes en Algérie (1830-1930) , in La Revue Africaine , n°74 , 1933.
- GEorgeHardyn , Préface , Annales de l'istitut Oriental d'Alger , n°1, Jourdan , Alger , 1934.
- René Basset , Rapport sur l'activité scientifique de la France en Algérie dans l'Afrique du Nord depuis 1830 , in : Le journal Asiatique, Tome XV, Paris , 1920.
- SaïdBoulifa ,Manuscritsberbères du Maroc , in : Journal Asiatique , Tome VI,X,1905.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

www.manaraa.com